في كل ليلة حكاية

٣

ماضر عثمان ما فعل بعد اليوم

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

obeikandl.com

obeikandl.com

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

واجتمعَ أَفرادُ العَائلةِ في صَالونِ بيتِ (أُمِّ سَعيدٍ) فَقالتْ (سَمِيرةُ): ولكنْ أَينَ خَالتِي (أُمّ أَحمد)؟!

فَأجابتْ (أَسماءُ): لَعلَّها في الغُرفَةِ الدَّاخليَّةِ تُصلِّي للهِ ما شاءَ اللهُ لهَا..

وانطلقتْ باتِّجاهِ الغُرفةِ.. ، ثُمَّ عادتْ وهيَ تَقولُ: ولكنْ لا يُوجَدُ في الغُرفةِ أَحدٌ! وَراحَ سَامي يَصيحُ بصوتٍ مُرتفعٍ: خَالتِي.. أينَ أَنتِ يا خالتي؟

دَخلَ (سعيدٌ) وَنظرَ إلى الجميعِ ثُمَّ قالَ: إنَّ خَالتي (أُمّ أَحمد) تنتظرُكُم تحتَ شَجرةِ التُّوتِ الكَبيرةِ... فَهيَ تَصنعُ نَوعاً من الطَّعامِ الذي يـأكلـهُ النَّـاسُ هنـا فـي الصَّيـفِ... هيـهِ.. هيَّـا

يا شبَّابُ ـ قالَ سَامي ـ وهوَ ينطلقُ مُسرِعاً باتِّجاهِ الحَديقةِ...

وبالفعل.. وَجدُوا (أُمَّ أحمد) مُنهمِكَةً بإحضارِ أكلةٍ حَفِظَتْهَا من والدتِهَا...

ولمَّا أكلُوا.. وَشربُوا.. وأَدَّوا صلاةَ المغربِ خَلْفَ (أَبي أَحمد).. رَاحتْ (أُمّ أحمد) تَحكِي لَهم حكايةَ هذهِ اللَّيلةِ:

عُثمانُ: من الجَاهِليَّةِ إلى الإِسلاَمِ

عَاشَ عُثمانُ بنُ عَفَّانَ حَياةَ التَّرفِ والغِنَى ، فَأهلُه كَانوا يَعمَلُونَ بالتِّجارَةِ ، وهوَ أَيضاً.

واشتهرَ بينَ أَهلِ مكَّة بالعفيفِ ، فلمْ يَشربْ خَمراً ، ولا عَبدَ صَنَماً ، ولا اقتَربَ من أماكنِ اللَّهوِ و...

إنَّما عاشَ في الجاهليَّةِ مُتَّزِناً عَاقِلاً مُدرِكاً لحقَائقِ الأُمورِ..

وعِندَما شَاءَ اللهُ لَهُ الهِدَايَةَ.. لَقِيَهُ صدِيقُهُ أبـو بَكـرٍ الصِّـدِّيـقُ وعَـرَضَ عَليـهِ أُمُـورَ دَعـوةِ رَسُولِ الله ﷺ.

وَفكَّرَ مَلِيَّاً ثُمَّ أَعلَنَ إسلامَهُ.. ومُنذُ ذَلِكَ الحِينِ وَضَعَ كُلَّ إمكَانِيَّاتِهِ تَحْتَ تَصرُّفِ رَسُولِ الله ﷺ.

ويُكافِئُهُ رَسُولُ اللهِ على مَواقِفِهِ بِأن يَجعَلَهُ صِهرَهُ ، حيث زَوَّجَهُ ابنتَهُ رقيَّة رَضِيَ الله عنهَا..

واشتدَّ تعذِيبُ قُريشٍ على القلَّةِ المُسلِمَةِ ، وذاتَ يومٍ اشتَكَا عُثمانُ رَضِيَ اللهُ عنهُ الأمرَ إلى رَسُولِ الله ، فأذِنَ لَهُ ولِزَوجَتِهِ بالهِجرةِ إلى الحَبشةِ.

وهناكَ عَاشَا شِدَّةَ الغُربَةِ.. فَهُمَا يَعِيشَانِ في وَطَنٍ آخرَ.. يتكلَّمُ أهلُهُ لُغَةً أُخرى ، ولهم عَادَاتٌ

تختلِفُ عن عادَاتِهِما.. والأصعبُ من ذلكَ كلهِ البُعدُ عن رَسولِ الله ﷺ وعنِ البَيتِ الحَرامِ.

وَلمَّا وَصَلَتِ الأَنباءُ السَّعِيدَةُ.. خاصَّةً أَنباءُ إيمانِ حَمزةَ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ وعُمَرَ بن الخطَّابِ.. ودُخُولِ بَعض الأَقْوِيَاءِ في الدِّينِ الحَنيفِ.. عِندَئذٍ فَرِحَ عُثمانُ ورقيَّةُ ومَنْ كَانَ مِنَ المُسْلِمينَ في الحَبَشَةِ، وقَرَّرُوا العَودَةَ إلى مَكَّةَ المُكرَّمة...

وتَحمَّلا مَرارَةَ السَّفَرِ.. وَمَشَقَّةَ الغُربَةِ.. وآلامَ الفراقِ والبُعدِ.. لكن ما العَملُ أمَامَ تَعنُّتِ المُشرِكين؟

لا شَيءَ سِوى الصَّبْر والدُّعَاءِ.. والتَّسلِيم المُطلَق للهِ رَبِّ العَالمين...

مَعاً إلى المَدينةِ المُنَوَّرَةِ

تُتَابِعُ (أُمُّ أحمد) حكَايتَها الشَّيِّقَةَ قائِلةً:

ويَـأتـي الفَـرَجُ بَعـدَ الشِّـدَّةِ ، واليُسـرُ بَعـدَ العُسـرِ ، حيـثُ أَذِنَ الـرَّسُـولُ ﷺ للمُسلِميـنَ بالهِجرَة إلى المَدِينَةِ المُنوَّرةِ ، حيثُ أصبحَ فيها كَثيرٌ مِنَ المُسْلِمينَ.. وانطَلَقَ عُثمانُ وزوجتُه رقيَّةُ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا إلى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ..

تارِكاً وراءَهُ كُلَّ تِجَاراتِهِ.. وكُلَّ أموَالِهِ.. وكُلَّ مُمْتَلكَاتِهِ... وذلِكَ في سَبيلِ أَمرٍ أهمُّ من ذلِكَ كُلِّهِ ، وهو النَّجَاةُ بعقِيدَتهِ ودِينهِ...

ولمَّا وصَلا المَدينةَ المُنوَّرةَ وعُرِضَ عليهِ العَقارُ والمالُ و... ، كانَ جوابُهُ الرَّفضَ.. لا عِنَاداً ولا استِكبَاراً إنَّمَا لأَنَّهُ عَزيزُ النَّفسِ.. لا يَضعُها في أيِّ مكانٍ يُؤدِّي إلى المَذَلَّةِ.. فالمُؤمِنُ عَزيزٌ دائِمـاً ، لأنَّ عِـزَّتَـهُ مُـرتَبِطَـةٌ بِعـزَّةِ اللهِ وعِـزَّةِ رَسُولِهِ...

قَالتْ (سُعاد): صَدَقتِ يا خَالَتِي ، فاللهُ في القُرآنِ الكَريمِ يقولُ:

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

تَابَعتْ (أُمُّ أحمد): وهكذا فَتَحَ اللهُ أَمَامَهُ أَبوابَ الرِّزقِ الحَلالِ.. فَأصبَحَ ذا شُهرَةٍ تِجاريَّةٍ أكثرَ ممَّا كانَ عليهِ في مكَّةَ المُكرَّمةِ..

من سمَّاهُ: (ذو النُّورَين) ؟!

ويَدُورُ الزَّمَنُ دَورَتَهُ.. وتكُونُ غَزوةُ بَدرٍ (٢ هـ) لكنَّ عُثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ لمْ يَحضُرِ الغَزْوَةَ بسببِ مَرَضِ زَوجَتِهِ السَّيِّدَةِ رقيَّة رضيَ الله عنهَا..

عِندَئذٍ كادَ قَلبهُ أن يَتَفَطَّرَ حُزناً.. كَيفَ يجلِسُ

في بَيتِهِ وعمُّهُ رَسولُ اللهِ ﷺ يُقاتِلُ صَنادِيدَ قُريشٍ؟

ولكنَّ رسولَ اللهِ طَمأَنَهُ بعدَ الغَزوَةِ.. وذلكَ عِندمَا قالَ لهُ: «إنَّ لكَ أَجرَ رَجُلٍ مِمَّن شَهِدَ بدرَاً وسَهمَه».

وانتَصَرَ المُسلِمُونَ في أوَّلِ مَعرَكَةٍ فاصِلةٍ بين الكُفرِ والإسلامِ.. لذلك فَرِحُوا فَرَحاً كَبيراً.

لكنَّ إرادةَ اللهِ شاءَتْ أن تموتَ السَّيِّدةُ رقيَّة بِنت رَسُولِ اللهِ وَزَوجَةُ عُثمان.. وحزِن عُثمان.. ومعهُ رسولُ اللهِ.. وكلُّ المُسلِمينَ.. ، كيفَ لا؟ وهي الصحابيَّةُ الجَلِيلَةُ بِنتُ سَيِّدنَا رَسول الله ﷺ.

فَصَبرَ عُثمانُ.. واحتسبَ الأجرَ عِندَ اللهِ..

ولكنَّ الرَّسُولَ ﷺ وهو الرَّحمةُ المُهداةُ أرادَ أن يُخَفِّفَ عن عُثمان ما أصَابَهُ.. فجمَعَ النَّاسَ

وأشهدَهُم أنَّهُ قد زَوَّجَ ابنتَهُ أمّ كلثُوم لعُثمانَ رضِيَ اللهُ عنهُما..

وسُئِلَ الرَّسُولُ: هلْ كانَ ذلِكَ اجتِهَاداً منهُ أم أمرَاً من اللهِ تَعالى؟!

فقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «يا عُثمان ، لقدْ أُمِرْتُ بِتَزويجِكَ أُختَها ، ولو كُنَّ عَشراً لفَعلتْ ذلكَ».

وَينقَلِبُ الحزنُ إلى فرحٍ.. لقد بَقِيَ عُثمانُ رضي اللهُ عنهُ قريباً من الحَبيبِ مُحمَّدٍ.. إنَّهُ حازَ النُّورَ الأوَّلَ عندما كانتْ عِندَهُ السيِّدةُ رُقيَّة.. وها هو ينالُ النُّورَ الثانِي عندما تصبِحُ عندَهُ السيِّدةُ أمُّ كُلثُوم.

لذلِكَ لُقِّبَ بِذِي النُّورَين.. رَضِيَ اللهُ عنهُ وأَرضَاه...

«.. وهَذهِ لعُثمَان..»!!

وَفي السَّنةِ (٦) السَّادِسَةِ للهجرَةِ كان أمرُ الحُديبيةِ ، حيثُ خَرَجَ الرَّسولُ ﷺ إلى الحُديبيةِ قاصِداً العُمرَةَ لا مُحارِباً.. ، وخَرَجَ مَعهُ كثيرٌ من المُسْلمين...

وحَصَلَتْ مُفاوضاتٌ بينَ المُسلِمينَ والمُشرِكِينَ ، وكان على رَأسِ الأَمْرِ المُفاوضُ الإسلاميُّ عثمانُ بنُ عفَّان رضِي اللهُ عنهُ.

ولمَّا دعا رَسُولُ اللهِ المُسلِمينَ للبَيعَةِ ، وكانتْ تحتَ شَجرةِ الرُّضوَانِ.. وأنزلَ اللهُ تَعالى قولَهُ:

﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

[الفتح: ١٨ ـ ١٩].

عِندئذٍ وضَعَ رسولُ اللهِ يَدَهُ اليُمنى وقالَ: «هذهِ لعُثمان».

ثُمَّ قالَ عليهِ الصَّلاةُ والسلامُ: «إنَّ عُثمَانَ في حاجةِ اللهِ وحاجةِ رَسولِهِ».

«ما ضَرَّ عُثمان ما فعلَ بعدَ اليَوم»

تُتَابِعُ (أمُّ أحمد) الحكايةَ الجميلةَ:

ولم يكُن عُثمانِ رضيَ الله عنه مُحِبَّاً للمالِ.. كانِزاً إيَّاهُ.. مُتكَبراً بهِ على عِبادِ اللهِ.. إنَّما كان رَجُلاً يُحِبُّ الإنفاقَ في كلِّ وُجوهِ الخَيرِ..

لذلكَ عندمَا علِمَ أنَّ يَهودياً يَتحكَّمُ بِمياهِ المُسلمينَ في المدينةِ المُنَوَّرةِ.. ذهبَ إليهِ عُثمانُ ودفعَ لهُ المالَ الكثيرَ.. واشتراهُ. ثُمَّ أوقَفَهُ للمُسلِمينَ.. فقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «من حَفَرَ رومةَ فلهُ الجنَّة».

ولمَّا كانتِ السَّنَةُ التَّاسِعَةُ للهجرَةِ.. نَدبَ رَسولُ اللهِ ﷺ المُسلمينَ للإنفاقِ في سبيلِ تَجهيزِ جيشٍ يَتَّجِهُ إلى تَبوك.

وكان ممَّا قالهُ رَسولُ اللهِ ﷺ: «يا مَعشَرَ المُهاجِرين والأَنصَار ، إنَّ من إخوَانِكم قَوماً ليسَ لهُم مالٌ ولا عشيرةٌ فليضُمَّ أحدُكم إليهِ الرَّجُلَينِ أو الثَّلاثةِ».

فما كانَ من عُثمانَ رضيَ الله عنهُ إلاَّ أن حَملَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ (٧٠٠) سَبْعَمِئةِ أوقيَّة ذهبٍ. وقالَ: هَذهِ في سبيلِ اللهِ يا رسولَ اللهِ...

فمَا كانَ من رَسولِ اللهِ إلاَّ أن قَالَ: «غَفَرَ اللهُ لكَ يا عُثمان ما أسرَرْتَ وما أعْلَنْتَ ، وما أخفَيتَ ، وما هُوَ كَائنٌ إلى أن تَقومَ السَّاعةُ ، ما يُبالِي عُثمان ما عَمِلَ بَعدَ هذا».

ويتابعُ المَسِيرةَ المظفَّرةَ

وهَكذا كان عُثمانُ ـ ناصِحاً أَميناً ومُستَشَاراً هَادِياً ـ في عهدِ أبي بَكرٍ وعُمَرَ رضِيَ اللهُ عنهُما ـ ثُمَّ آلَ أمرُ الأمَّةِ إليهِ. فزادَتِ الفُتُوحاتُ الإسلامِيَّةُ اتِّساعاً، حيثُ غَزا المُسلمُونَ جزيرةَ قُبرُص، وتلكَ أوَّلُ مرَّةٍ ركِبَ فيها المُسلِمونَ البحرَ..

كذلك فقَد زادَ عُثمانُ في المسجِد الحَرَامِ ووسَّعَهُ، ثمَّ زَادَ في المسجدِ النّبويِّ ووسَّعَهُ أيضاً...

ونتيجةَ كثرَةِ الفُتوحاتِ كثُرَتْ أرزاقُ النَّاسِ، فاتَّخَذَ عُثمان بَيتاً للمالِ وأَجرى الأرزَاقَ والرَّواتِبَ، ممَّا جعلَ النَّاسَ يَعيشونَ في بحبُوحةٍ..

لكنَّ أَهَمَّ عملٍ قَامَ بهِ عُثمانُ رضِي اللهُ عنهُ

استِنساخُهُ القُرآنَ الكريمَ (٧) نسخٍ ، حيثُ شكَّلَ لجنةً لذلك برئاسَةِ زَيد بن ثابتٍ ، فقامُوا بنسخِ القُرآن الذي جُمِعَ على زَمَنِ أبي بَكرٍ.. وأُرسِلَتْ كلُّ نُسخَةٍ إلى بعضِ المُدُنِ الرَّئيسيَّةِ كدِمشقَ وبَغدادَ ونحوُهُما.

لذلكَ قالَها عليٌّ رضِيَ اللهُ عنهُ: لا تقُولوا في عُثمان إلاَّ خَيراً ، فو اللهِ ما فعلَ الذي فَعلَ في المَصاحِفِ إلاَّ عَن مَلاءٍ مِنَّا...

المُبشَّر بالجنَّةِ يرحلُ إلى الفِردَوسِ

وهَكذا حَدثَتِ الفِتنةُ.. وحُوصِرَ الخَليفَةُ عُثمانُ في بيتِهِ.. وانطلقَ شَبابُ الصَّحابةِ للدِّفاعِ عنهُ.. وعلى رأسِهم الحَسنُ والحُسينُ رضيَ الله عنهُما...

لكنَّ الفِتنَةَ عندمَا تنزِلُ بِالقَومِ يختلِطُ الصَّالحُ بالطَّالحِ.. لذلكَ لمْ يُعرفْ على وجهِ

التَّحديْدِ من الذي قَتَلَ عُثمان ظُلماً وعُدوَاناً..

أجَلْ!

لَقد دخَلُوا عليهِ دارَهُ وهو صَائِمٌ.. وفي يديهِ كتابُ اللهِ يقرأُ فيهِ ، فضربُوهُ على رأسهِ.. فسالَ دمُهُ على آيةٍ في كتابِ اللهِ تَعالى ، وهي قَولُهُ عزَّ وجلَّ:

﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

[البقرة: ١٣٧].

ولمَّا وَصَلَ خبرُ استِشهادِ عُثمان إلى الإمامِ عليٍّ رفعَ يديهِ قَائلاً: اللَّهمَّ إنِّي أبرأُ إليكَ من دَمِ عُثمان رضِيَ اللهُ عنهُ..

فوداعاً يا ذا النُّورَيْنِ.. وإلى جَنَّةِ الخُلدِ يا صِهرَ رَسولِ اللهِ ﷺ.

وإلى لقاءٍ معَ حكَايةٍ جَديدَةٍ في ليلةٍ قَادمةٍ..

والحمدُ لله ربِّ العَالمين